بعض المعطيات عن المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية في بلاد المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية

د. عمر بلبشير.
جامعة معسكر.

تكتسي كتب الجغرافية قيمة علمية بالغة، خاصة حين يتعلق الأمر بموضوع الفلاحة، وتتمثل أهميتها في كونها تمدنا بمادة غزيرة حول الوحدات الطبيعية التي تشكل أرض المغرب الأوسط مثلاً، وطبيعة المناخ السائد، وحول الشبكة المائية وأشكال الحيازات، كما تمدنا كذلك بمعلومات غزيرة عن أنواع المحاصيل الزراعية وتوزيعها الجغرافي، وعن الثروة الحيوانية والمجالات الرعوية في المنطقة.

لقد اتسمت الفلاحة في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، بنوع من الوفرة، وهذا ما يشير إليه معظم الجغرافيين من خلال وصفهم للحالة الزراعية في المنطقة، ومما عزز هذه الحقيقة هو حصول ما يقرب من الاكتفاء الذاتي في المنتجات الزراعية، بل كان يوجه الفائض في غالب الأحيان إلى التصدير نحو كل من الأندلس وبلاد السودان وغيرها من المناطق، (ناصف م. 1987- 1988م: 335)، إلا أن هذه الحالة لم تحض بالاستمرارية طيلة الحقب التاريخية في الفترة الوسيطية نظراً لحدوث حالات كان الإنتاج الفلاحي يعرف فيها تقلصا لأسباب بشرية وطبيعية مختلفة، إضافة إلى الأزمات السياسية، ومع ذلك ظل النشاط الفلاحي والرعوي محل اهتمام سكان هذه المنطقة.

أولاً: معطيات عن بعض المحاصيل الزراعية:

إن التنوع الطبيعي والإقليمي الذي يتمتع به هذا البلد، انعكس إيجاباً على مردوده الفلاحي النباتي منه والحيواني على مر العصور التاريخية، وهذا ما أظهرته معظم أسواقه التي عرفت رواج أنواع مختلفة مما جادت به أراضيه من فواكه وخضر، أو مما جادت به فصائله الحيوانية الممتازة كماً ونوعاً.

واشتهرت كل مدينة من هذا البلد بما تنتجه، فهذه «تلمسان» عاصمة الدولة الزيانية ظلت محل إشادة بعض الجغرافيين الذين وصفوا تنوعها الطبيعي، وذكروا بعض ما اشتهرت به من منتجات فلاحية، فـ«البكري» (ت487هـ/1094م) يصفها بأنها «محاطة بأشجار الجوز» فهي "مسورة في سفح جبل شجره الجوز... وكان الأولون قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمى لوريط..." (البكري، أ. (د.تا): 76)، وإلى هذا أشار صاحب «الاستبصار» الذي عاش في القرن 6هـ بأنها «كثيرة الخصب والثمار، والجوز بها كثير» (مؤلف مجهول، 1985: 176)، وهذا تأكيد على أن إنتاج الجوز بها كان وفيراً، وظلت البلاد محافظة على هذا المستوى الإنتاجي إلى غاية عصر الدولة الزيانية، وهو ما أكد عليه القلقشندي (ت821هـ/1418م) حين ذكر أن بها «شجر الجوز على كثرة» (القلقشندي، أ. 1915: 5/149).

هذه الحقيقة يؤكدها الكثير من الجغرافيين الذين أشاروا إلى مدينة تلمسان، ولهذا رتبها «الإدريسي» (560هـ/1165م) من حيث الأهمية الاقتصادية والاجتماعية كثالث مدينة في كل من بلاد المغرب بعد مدينتي «أغمات» و«فاس»، فذكر أن "غلاتها

ومزارعها كثيرة، وفواكهها جمة، وخيراتها شاملة، ولحومها شحمية سمينة" (الإدريسي، أ. 2002م: 248/1)، ويصفها معاصره صاحب كتاب «الجغرافية» «الزُهري» (توفي بعد سنة 541هـ/1154م، وقبل سنة 556هـ/1161م) بأنها «كثيرة الزَّرعُ والضَّرعُ» (الزهري، م. (د.تا): 113).

ومن خلال مختلف هذه المصادر يتبين لنا أن سهول هذه المدينة كانت تزرع فيها شتى أنواع الزر وع والخضراوات والفواكه، وبالتالي كان هذا المحصول يمون أسواقها المحلية.

ولم يقتصر الإنتاج الفلاحي على مدينة تلمسان فقط، بل اشتهرت كذلك المناطق المجاورة لها بزراعة الحبوب كسهول مدينة «تَفِسْرَة»، حيث كان يزرع بها القمح (الوزان، ح 1983: 24/2)، وكذا سهول مدينة «تِسلَّة»، التي كانت تنتج كميات وفيرة من القمح الجيد، الغليظ الحب الذي يمكنه وحده تزويد مدينة تلمسان بما تحتاجه من حبوب (الوزان، ح 1983: 25/2).

وقد أبدع «حسن الوزان» (مات بعد عام 957هـ/1550م) في وصفه لخيرات تلمسان وأحوازها حيث قال: «وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة... حيث الكروم المعروشة الممتازة تنتج أعناباً من كل لون، طيبة المذاق جداً، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلاً في جهة أخرى، والتين الشديد الحلاوة، وهو أسود غليظ طويل جداً، يُجفف ليؤكل في الشتاء والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة» (الوزان، ح 1983: 20/2).

ومن المناطق التي عرفت بخصوبة أراضيها، وبوفرة الإنتاج الزراعي بها نجد كذلك مدينة «هنين» الساحلية، وقد أشار الوزان أنها كانت "تنتج كميات وافرة من الثمار كالكرز، والمشمش، والتفاح والاجاص، والخوخ، وما لا يحصى من التين، والزيتون"(الوزان، ح 1983: 15/2- 16).

وكانت مدينة «وهران» معروفة بغناها الفلاحي عند الجغرافيين القدامى، «فابن حوقل» ذكر:«أن غلتها من القمح والشعير، وبها جميع الفواكه» (ابن حوقل، أ. (د.تا): 59)، وأشار البكري أن «مياهها سايحة وبها بساتين» (البكري، أ. (د.تا): 69)، وذكر «الإدريسي» كذلك أن «وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر وعليه بساتين وجنات، وبها فواكه ممكنة، وأهلها في خصب والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير» (الإدريسي، أ. 2006: 271/1)، ووصفها صاحب «الاستبصار» (من كتاب القرن السادس الهجري) بأنها "...كثيرة البساتين والثمار، ولهاماء سائح وأنهار كثيرة وأرحاء وعيون..." (مؤلف مجهول. 1985: 134)، ونفس الوصف نقله الحميري (توفي في أواخر القرن 9هـ/15م) في الروض (الحميري، م. 1984: 612).

كما عرفت بادية «مستغانم» على عهد «البكري» بزراعة القطن، وقد ساهمت وفرة المياه وخصوبة التربة بها على وفرة هذا المحصول (البكري، أ. (د.تا): 69)، وعلى هذه الأهمية أكدَّ «الإدريسي» في النزهة. (الإدريسي، أ. 2006: 271/1)، وذكر «حسن الوزان» أن «جميع الأراضي المحيطة بها جيدة للفلاحة وخصبة» (الوزان، ح 1983: 32/2)، كما تحيط بالمدينة « عدة بساتين جميلة...» (الوزان، ح 1983: 32/2).

وظل الشريط الساحلي وحوض «شلف» أخصب جهات هذه البلاد، كما سجل ذلك الادريسي في النصف الأول من القرن السادس الهجري/12م، وقد لفت نظره كثرة المزارع وامتدادها إلى جانب تعدد المراكز الحضرية، (الإدريسي، أ. 2006: 1/251-252) وقال عن ميناء «تنس» إن به إقلاعا وحطّ... وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب وبها من الفواكه كل طريف" (الإدريسي، أ. 2006: 1/251- 252) وكانت «تنس» المدينة واقعة على منطقة خصبة معروفة بوفرة الإنتاج الفلاحي بها، وظلت على عهد «الدولة الزيانية» من المدن الهامة اقتصادياً، وكان إنتاجها يغذي سوقها الداخلي على الدوام بما جادت به أراضيها (CHARLES . E.D. 1966: 13).

أما بادية تاهرت فكانت تنتشر في ربوعها العديد من البساتين والأشجار التي تحمل ضروباً من الفواكه الحسنة (الإدريسي، أ. 2006: 1/256)، وظلت هذه المدينة محافظة على هذا المستوى الإنتاجي إلى غاية زمن الحميري، الذي ذكر أن " وبأراضيها مزارع وضياع جمة " (الحميري، م. 1984: 126)، وشهد بذلك «القلقشندي» حيث يذكر أن «السفرجل» بها يشهد له بالحسن طعما ورائحة، ومنتوجها ينافس منتوجات المناطق الأخرى (القلقشندي، أ. 1915: 5/ ج5/ص111)، كما كانت ضواحي (المسيلة) منطقة "عامرة في بسط من الأرض ولها مزارع ممتدة، ولأهلها... جنات وفواكه وبقول ولحم ومزارع قطن وقمح وشعير..." (الإدريسي، أ. 2006: 1/254)، (ابن حوقل، أ. (د.تا): 85- 86)، وعن مدينة قسنطينة يخبرنا «الإدريسي» أن أهلها "مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب وتشارك في الحرث والادخار والحنطة تقيم بها في مطاميرها مائة سنة لا تفسد"(الإدريسي، أ. 2006: 1/265)، وهي الصورة عينها التي ينقلها «الحميري» (الحيري، م. 1984: 480)، ويسجل «الإدريسي» نفس الظاهرة في بقية مناطق المغرب الأوسط، فهي الأخرى توجد بها أنواع مشابهة من المحاصيل الزراعية التي تعكس حياة اقتصادية نشطة.

لا تكتفي المصادر الجغرافية بذكر المحاصيل الزراعية المعروفة كالقمح والشعير القطاني وقصب السكر، وذكر الشجر وثمره ونوعه وصفته، بل تذكر كذلك أنواع النبات، كقول «الإدريسي» إن بمدينة شرشال هذه "سفرجل كبير الجرم ذو أعناق كأعناق القرع الصغار، وهو من الطرائف غريب في ذاته" (الإدريسي، أ. 2006: 1/258)، وعن مدينة "تنس" ذكر كذلك أن بها "السفرجل الطيب المعنق ما يفوت الوصف في كبره وحسنه"(الإدريسي، أ. 2006: 1/252)، ولا يفوته كذلك نبات طبي إلا ذكره، فيقول مثلاً عند كلامه على جبل مجاور لمدينة «بجاية» : "وفي أكنافه جُمَل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحضض والسقولوفندريون والبرباريس والقنطوريون الكبير والزراوند والقسطون والأفسنتين أيضاً وغير ذلك من الحشائش..."(الإدريسي، أ. 2006: 1/259).

ثانياً: الثروة الحيوانية والعناية بها:

لقد ارتبطت الحياة الفلاحية بالاهتمام بالماشية والعناية بها، ولا يقتصر ممتهن الرعي على نوع واحد من الحيوانات، وكثيراً ما تربى الأبقار والأغنام والخيول والبغال والجمال في منطقة واحدة، وذلك يعتمد على اختلاف البيئة الجغرافية، وهذا ما تزخر به

منطقة المغرب الأوسط من تنوع مناخي وبيئي، ما ترتب عنه تنوع في توزيع ثرواته الحيوانية عبر مختلف مدنه، فقد كانت منطقة الأغنام والأبقار في منطقة بونة وشرشال والجزائر وجيجل وقسنطينة وتلمسان وغيرها.

وكانت منطقة الخيول في المسيلة والزاب إلى منطقة تلمسان، حيث اشتهر "بنو راشد" بتربيتها قي هضاب ونشريس، وكانت تلمسان منطقة الخيول الأساسية في المنطقة الغربية (ابن سعيد، ع. 1982: 246/2.)، وقد ذكر الإدريسي أن لأهلها المسيلة: "سوائم وخيل وأغنام وأبقار..." (الإدريسي، أ. 2006: 254/1)

ويبدو من خلال بعض إشارات المصادر الإخبارية أن سكان المناطق الجبلية كانوا يعملون في الغالب في تربية المواشي (ابن خلدون، ي. 1980: 1/ 134- 158)، كتوجين، ومغراوة، أما القبائل الناجعة فأغلب حيواناتهم: الإبل (ابن خلدون، ع. 2003: 6/ 175- 176)، وأما تربية الخيل فيبدو أنها كانت تتم في رعاية سكان السهول والهضاب العليا، وتربية البغال في المناطق الجبلية.

وبالرجوع إلى المصادر الجغرافية نستشف أن النطاقات الرعوية عرفت انتشاراً واسعاً في المغرب الأوسط، حيث يشير «ابن حوقل» إلى الوفرة الإنتاجية التي تتعلق بهذه المراعي فقال أن تيهرت كانت :"أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين (وهي جنس من الخيل) والفراهية، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات" (ابن حوقل، أ. (دتا): 86)، ونفس الوصف يشير إليه الإدريسي من أن بها ".. نتاج البراذين والخيل كل حسن، وأما البقر والغنم بها فكثيرة جداً، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة""(الإدريسي، أ. 2006: 256/1)، وهي الثروة الحيوانية الوفيرة التي دعمت اقتصاد الدولة الرستمية في عهدها وملأت أسواقها.

كما اعتاد الفلاحون في «دولة بني حماد» (405- 547هـ/1014- 1153م) على تربية الحيوانات، واشتهرت كل مدينة من هذه البلاد بتربية أنواع من الحيوانات، كالغنم والبقر والخيل والبغال الإبل والنحل وغيرها من الحيوانات، وبالرجوع إلى المصادر الجغرافية نجدها حريصة على ذكر الماشية وأنواعها ولحومها، والأسماك وأسمائها وخصائصها.

وفي هذا يشير «الإدريسي» إلى أن بمدينة الجزائر "أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم، ويتخذون النحل كثيراً فلذلك العسل والسمن كثير في بلادهم، وربما تجهز بهما إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم"(الإدريسي، أ. 2006: 258/1)، وأن «بقسنطينة» "العسل بها كثير، وكذلك السمن يتجهز به منها إلى سائر البلاد"(الإدريسي، أ. 2006: 265/1)، وهي إشارة إلى ما كان يصدر من فائض هذه الثروة الحيوانية.

وعن مدينة «شرشال» أشار «الإدريسي» "لأهلها مواش وأغنام كثيرة والعسل بها ممكن، وأكثر أموالهم الماشية..." (الإدريسي، أ. 2006: 258/1)

كما شاعت بين الناس بالمدن والبوادي على السواء شركات في النحل (الونشريسي، أ. 1981: ج8/ص235، ص192- 193.)، وفي إنتاج الحرير، وقد كانت تحصل على الوجه التالي، وهو أن يدفع المالك أجباح النحل أو بعض أشجار التوت «وزريعة الدود» (بيضه) لقاء جزء من العسل أو «لوز الحرير» (الونشريسي، أ. 1981: ج8/ص130).

لقد شاع بين أهل المغرب الأوسط أن يتكفل الفلاحون برعي ماشيتهم بأنفسهم بالدولة والتناوب فيما بينهم، «يضمون مواشيهم فيحرزونها بالدولة ويحرز المواشي كل واحد منهم يومه» (الونشريسي، أ. 1981: ج8/ص 330)، كما كان البعض منهم يكلف من يقوم مقامه في رعي الماشية، «وجب الحرز على أحدهم يوماً فاكترى رجلاً حرز عنه المواشي في اليوم الذي كان يجب عليه فيه الدولة...» (الونشريسي، أ. 1981: ج8/ص 330)، وفي كتاب «المعيار» (الونشريسي، أ. 1981: ج8/ص341- 343) ورد خلاف بين الونشريسي وأهل فاس بسبب فتواه بعدم تضمين الراعي بالتناوب، بينما العمل بفاس تضمين الراعي المشترك.

كما فضل الميسورين إلى استئجار الرعاة لرعي ماشيتهم وأغنامهم لفترة معينة نظير أجرة معلومة (الونشريسي، أ. 1981: ج8/ص343).

ثالثاً: الصيد:

الصيد تطلق هذه الكلمة على ما يصطاد، سواء كان صيد البحر كأسماك، وصيد البر كالغزلان، وصيد الجو كالطيور، فما يغوص في البحر، ويجوب في الخلاء، ويحلق في الفضاء من الأموال المباحة التي يجوز تملكها بالاستيلاء سواءً كان هذا الاستيلاء حقيقياً كما إذا أمسك الصائد الحيوان بيديه، أو كان حكمياً بأن اصطاد بما أعده من وسائل كالشباك والشراك.

وقد بلغ الاهتمام بالصيد وآلاته شأوا بعيداً في بلاد المغرب الأوسط، وكما كان الصيد بقصد الاستفادة من اللحوم، كان عند البعض بقصد المتعة والترويح عن النفس (موسى، ع. 2003م: 303)، وكان السمك أكثر ما يصاد، فسواحل هذه البلاد من أغنى المناطق بالأسماك، ومارس سكان سواحل هذه المنطقة الصيد منذ عصر موغل في القدم، وظل كذلك خلال العصر الوسيط (حركات، إ. 1996م: 41،39- 42).

صيادة السمك:

كانت صيادة السمك موجودون على سواحل المغرب الأوسط كله تقريباً، وقد أفادنا الإدريسي بأنواع الأسماك التي كانت تصطاد، إذ يقول عن مدينة جيجل أن بها "حوت الكثير العدد المتناهي في الطيب والقدر" (الإدريسي، أ. 2006: 268/1) وأنه بمدينة «المسيلة» "نهر فيه ماء كثير مستنبط على وجه الأرض وليس بالعميق، وهو عذب، وفيه سمك صغير فيه طرق حمر حسنة، لم يرى على وجه الأرض المعمورة سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير، فاحتمل إلى قلعة بني حماد"(الإدريسي، أ. 2006: 254/1)، وفي حديثه عن قرية «هوز» (قرية أو مرسى قرب شرشال) " وبها قوم صيادون للحوت ..." (الإدريسي، أ. 2006: 273/1).

صيد المرجان:

يفهم مما أورده «الإدريسي» أن المرجان يوجد منه الكثير بمدينة «بمرسى الخرز» (قرب بونة) "وهو أجمل جميع المرجان الموجود بسائر الأقطار مثل ما يوجد منه بمدينة سبتة وصقلية...ويقصد التجار من سائر البلاد إلى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات... والمرجان ينبت كالشجر ثم يتحجر في نفس البحر بين جبلين عظيمين، ويصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب، تدار على الآلة في أعلى المراكب، فتلف

الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان، فيجدبه الرجال إلى أنفسهم ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالأموال الطائلة (الإدريسي، أ. 2006: 290/1)، ويشير صاحب «الاستبصار» إلى أنه كان يصدر إلى المشرق واليمن والهند والصين وسائر البلاد (مؤلف مجهول، 1985: 126).

جدول لأهم الحيوانات التي كانت تربى ببلاد المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية

المنطقـــة	أنواع الحيوانات	مصدر المعلومات
تلمسان	-الخيول يقول الحضرمي أن الفارس ليتجهز من تلمسان -"...لحومها شحمية سمينة"	-ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب: 2/ 246.) -الإدريسي، نزهة المشتاق: 248/1).
هضاب ونشريس	-الخيول	-ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب: 2/ 246.)
الجزائر	-تربية الغنم والبغال والبراذين والفراهية. -"أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم، ويتخذون النحل كثيراً فلذلك العسل والسمن كثير في بلدهم، وربما تجهز بهما إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم"	-ابن حوقل، صورة الأرض: ص86. -الإدريسي، نزهة المشتاق: 258/1. -الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 163.
بقسنطينة	-"العسل بها كثير، وكذلك السمن يتجهز به منها إلى سائر البلاد"	-الإدريسي، نزهة المشتاق:1/ 265. -الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 480.
تاهرت	-"بها من إنتاج البراذين والخيل كل حسن، وأما البقر والغنم بها فكثيرة جداً، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة" -"وبها نتاج البراذين والخيل كل شيء حسن، وبها البقر والغنم كثيراً جداً وكذلك	- الإدريسي، نزهة المشتاق: ج256/1. - الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 126.

	العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة"	
"تنس"	"..والعسل بها موجود، وكذلك السمن والزبدة، والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير..."	الإدريسي، نزهة المشتاق: 1/251- 252.
"جيجل"	"..بها الألبان والسمن والعسل..."	الإدريسي، نزهة المشتاق: ج1/ 268. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 184.
شرشال	"بها بادية لأهلها مواش وأغنام كثيرة والعسل بها ممكن، وأكثر أموالهم الماشية..."	الإدريسي، نزهة المشتاق: ص159.
مازونة	قال الإدريسي "...الألبان والسمن والعسل كثير بها..."	الإدريسي، نزهة المشتاق:1/272
بونة	"من أنزه البلاد وأكثرها لبناً ولحماً وعسلاً وحوتاً	الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص115.
المسيلة	"لأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار.." "كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة"	الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص558.
وهران	"..والعسل بها موجود والسمن والزبدة كثيرة، والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير"	الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص612- 613. الإدريسي، نزهة المشتاق: ج1/ ص252.
مدينة تادلس	"..وبها الغنم والبقر موجود كثيراً وتباع بالأثمان اليسيرة ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق..."	الإدريسي، نزهة المشتاق: ج1/ص259.
حوض الفروج (مرسى الفروج) ميناء	"...الألبان والسمن والعسل كثير بها.."	الإدريسي، نزهة المشتاق: ج1/ص272.

الدولة الرستمية قرب مستغانم		
جيجل	"حوت جيجل كثير العدد متناهي الطيب والقدر"	- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس: ص169. - الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 184.
المسيلة	بها "نهر فيه ماء كثير مستنبط على وجه الأرض وليس بالعميق، وهو عذب، وفيه سمك صغير فيه طرق حمر حسنة، لم يرى على وجه الأرض المعمورة سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير، فاحتمل إلى قلعة بني حماد"	الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس: ص156.
قرية "هوز" (قرية أو مرسى قرب شرشال)	" وبها قوم صيادون للحوت ..."	الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس: ص173.
مدينة "بونة"	بركة في دورها نحو عشرة أميال فيها سمك جليل كثير وفيها طائر يعرف بالكيكل وهو يعيش على وجه الماء ويفرخ..وهو طائر حسن وهو الذي يسمى بمصر الغطاس، وتتخذ بمصر من جلوده الفراء لا منها (للينها) وجمالها وتباع بالأثمان الغالية " "يزرع بأراضيها الكتان والعسل بها موجود ممكن، وكذلك السمن، وأكثر سوائمهم البقر"	الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: 190- 191. الإدريسي، نزهة المشتاق: 291/1.
"مرسى	"وهو أجمل جميع المرجان	الإدريسي، نزهة

الخرز" (قرب بونة)	الموجود بسائر الأقطار مثل ما يوجد منه بمدينة سبتة وصقلية..ويقصد التجار من سائر البلاد إلى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات... والمرجان ينبت كالشجر ثم يتحجر في نفس البحر بين جبلين عظيمين، ويصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب، تدار على الآلة في أعلى المراكب، فتلف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان، فيجدبه الرجال إلى أنفسهم ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالأموال الطائلة.	المشتاق: 290/1. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: نفسه: 190- 191..

إن الغرض من هذه الدراسة هو تبيان قيمة وأهمية المعلومات الواردة في المصادر الجغرافية، والتي من شأنها أن تعيننا على النفاذ إلى أعماق الواقع المعيش، ومن ثم سد الثغرات الحاصلة في المصادر الإخبارية حول التاريخ الفلاحي، وبالتالي كشف النقاب عن العديد من الجوانب المتعلقة بالنشاط الزراعي.

التعريف ببعض المدن الوارد في نص المقال:

بجاية: هي مدينة بالقطر الجزائري على شاطئ البحر، اختطها "الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين" في حدود سنة 407هـ، وقد وصفها الإدريسي غلاة هذه المدينة فقال "ولها بوادٍ ومزارع، والحنطة والشعير بها موجودان كثيران، والتين وكثير من سائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد" ينظر: (الحميري، م. 1954-1955م: 1/ 339) ينظر كذلك: (الحميري، م. 1984: 81).

تِسَّلة: مدينة عريقة في القدم، بناها الأفارقة في سهل كبير يمتد على مسافة نحو 20 ميلاً، هو سهل سيدي بلعباس، لكن يبدو أن قرية تِسَّلة الحالية الواقعة شمال شرق سيدي بلعباس في سفح جبل تِسَّلة ليست في موقع المدينة القديمة، ينظر: (الوزان، ح. 1983 :ج2/ :25).

تفسرة: مدينة صغيرة تقع في سهل على بعد خمسة عشر ميلاً من تلمسان، ينظر: (الوزان، ح. 1983 :ج2/ :24).

تَنَسْ: مدينة أزلية على ساحل البحر، بالمغرب الأوسط بين الجزائر ووهران، ويرجع تأسيس مدينة تنس الحديثة إلى الأندلسيون سنة 262م، كانت تنس من بين المدن الهامة المنتجة للخضر والفواكه ينظر (ابن حوقل، أ. (د.تا): 80)، (البكري، أ. (د.تا): 60)

جيجل: مدينة قديمة يحيط بها البحر، وهي كثيرة التفاح والفواكه، ينظر في التعريف بهذه المدينة: (الإدريسي، أ. 2006: 1/ 268.)، ينظر كذلك: (الحميري، م.

1984: 184- 185).

حوض الشلف: يقع هذا الحوض بين جبال زكار والظهرة شمالاً، وجبال ونشريس جنوباً، والذي يمتد ما بين مليانة شرقا، وغليزان غربا، وقد يكون هذا الحوض من رواسب المجاري المائية التي تنزل إليه من مرتفعات جبال زكار والظهرة شمالاً، ومرتفعات جبال الونشريس جنوبا، والأطلسين التطري، والبليدي شرقاً، ينظر في التعريف بهذا الإقليم: (الإدريسي، أ. 2006: 1/ 272) ينظر كذلك: (ياقوت، ش. (د.تا) ج4/ :249)، ينظر كذلك: (الميلي، م. 1989م : 52/1).

شرشال: مدينة بناحية برشك، وهي متحضرة، وبها مياه جارية وآبار عدبة وفواكه كثيرة، ينظر: (ابن حوقل، أ. (د.تا): 78)، ينظر كذلك: (الحميري، م. 1984: 340).

القل: مدينة عامرة ومرسى على ساحل قسنطينة، وبينهما أربعون ميلاً: ينظر في التعريف بهذه المدينة: (الإدريسي، أ. 2006: 1/ 269) ينظر كذلك: (ابن سعيد، ع. 1982: 142)، ينظر كذلك: (الحميري، م. 1984: 466).

مستغانم: هي بقرب نهر الشلف على البحر، مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، ويبذر في أرضها القطن فيجرد، ينظر في التعريف بها: (الإدريسي، أ. 2006: 1/ 271) ينظر كذلك: (بن عيسى، ع. 1996م).

هنين: مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، وهي أنيقة للغاية، تقع بأرض قبيلة ولهاصة في دائرة ندرومة غربي مصب نهر تافنة، وبخارجها زراعات كثيرة، ينظر في التعريف بها: (الإدريسي، أ. 2006: ج2/ :534)، ينظر كذلك: (ابن سعيد، ع. 1982: 140).

وهران: مدينة بالمغرب الأوسط، تقع داخل الخليج الذي يحمل اسمها، وموقعها على المرتفعات الشرقية لجبل مرجاجو، ويذكر ابن حوقل أن "غلاّتها من القمح والشعير والمواشي عندهم كثيرة..." ويصفها البكري بأنها "ذات مياه سائحة وأرحاء ما وبساتين..". انظر في ذلك: (ابن حوقل، أ. (د.تا): 59) (البكري، أ. (د.تا): 69) (الإدريسي، أ. 2006: 271/1)، (الوزان، ح. 1983 ج2/ص30- 31)، (ابن يوسف، م. 1978م).

قائمة المصادر والمراجع:

1. الإدريسي، أبو عبد الله. (1422هـ/2002م)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
2. الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم. (1381هـ/1961م)، المسالك والممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني، القاهرة، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
3. البكري، عبيد الله بن عبد العزيز (د.تا). المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
4. الحميري، محمد بن عبد المنعم السبتي. (1984م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2- بيروت، مكتبة لبنان.
5. ابن حوقل، النصيبي أبو القاسم محمد. (د.تا)، كتاب صورة الأرض أو المسالك والممالك، بيروت، دار مكتبة الحياة.
6. الزهري، محمد بن أبي بكر الزهري الأندلسي (كان حياً سنة 546هـ/1151- 52م) كتاب الجغرافية ويسمى أيضاً كتاب "السفرة" أو "الخريطة المامونية" تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية مصر(د.ت).

7. ابن سعيد، المغربي أبو الحسن عليّ بن موسى (1982م)، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط2. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
8. ابن يوسف الزياني محمد. (1978م). دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
9. القلقشندى، أبو العباس أحمد بن عليٍّ (1333هـ/1915م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، بالقاهرة، المطبعة الأميرية.
10. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (1983م)، وصف إفريقية، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي بالاشتراك مع محمد الأخضر، ط2. بيروت، دار الغرب الإسلامي.
11. الونشريسيّ أبو العباس أحمد بن يحي (1981م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
12. ياقوت، الحموي شهاب الدِّين أبو عبد اللّه (د.تا)، معجم البلدان، بيروت، مكتبة خياط.
13. مؤلف مجهول، (1985م)، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب) نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
14. بن عيسى، عبد القادر المستغانمي، (1996م). مستغانم وأحوازها عبر العصور "تاريخياً وثقافياً وفنياً، مستغانم، المطبعة العلوية.
15. حركات، إبراهيم، (1417هـ/1996م). النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء، منشورات أفريقية الشرق.
16. ناصف، محمد، (1987- 1988م)، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط ق6هـ/12م نموذجاً، القسم الثاني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، (تاريخ)، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.
17. موسى، عز الدِّين، (1424هـ/2003م). النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط2. بيروت دار الغرب الإسلامي،.
18. الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح الميلي محمد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م ج1/ص52.
19. إحسان عباس، المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة (الجزائر)، العدد 45، ماي 1975.
- CHARLES,(E. – D.,) *L'Espagne Catane et le Maghreb Aux, XIII, XIV, Siècle,* Presse Universitaire, de France, Paris, 1966, p 134